



1989-01-20

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا وزينا علينا، وأرنا الحق حقاً، وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلأً، وارزقنا اجتنابه، واجعلنا من يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

أيها الإخوة المؤمنون، مع الدرس السابع عشر من سورة النور، وصلنا في الدرس الماضي إلى قوله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسِبُهُ الظَّمَانُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً وَرَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ فَوْفَاهُ حِسَابٌ هُوَ السَّرِيعُ
الْحِسَابُ﴾ (39) أَوْ كَظُلْمَاتٍ فِي بَحْرٍ لَّجِيٍّ يَعْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُماتٌ بَعْضُهَا فَرَقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدُهُ لَمْ يَكُنْ
بِرَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا أَفَمَالُهُ مِنْ نُورٍ﴾ (40)

[سورة النور]

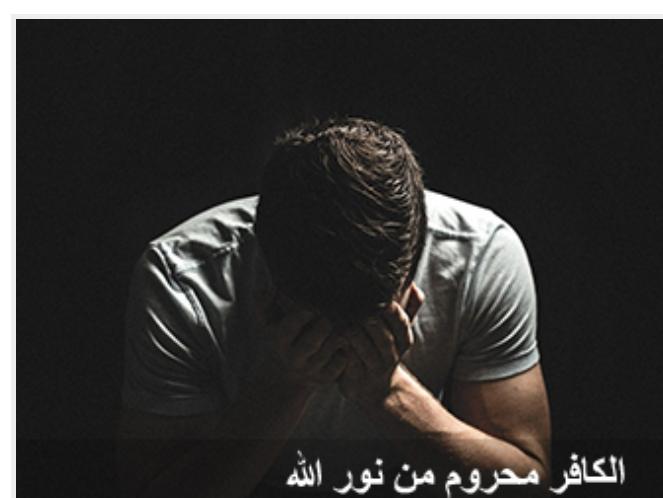
علاقة الآيات بما قبلها:

قد يسأل سائل: ما العلاقة بين هذه الآيات التي تتحدث عن الكفار، وبين الآيات السابقة في قوله تعالى:

﴿الَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثُلُّ نُورٍ كَمِشْكَاهٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةِ الرُّجَاجَةِ كَانَهَا كَوْكَبٌ دُرْرِيٌّ يُوَقَّدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ
رَبِّيُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ رَبِّيُونَهَا يُضِيُّءُ وَلَوْلَمْ تَمْسَسْنَهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهُدِي اللَّهُ لِنُورٍ وَمَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ
وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (35)

[سورة النور]

الحقيقة أن الله تعالى بعد أن بين نوره، وكيف يسري في المؤمن، فيسعد به في الدنيا والآخرة بين لنا كيف أن الكافر محروم من هذا النور، وحينما يُحرم الكافر من نور الله عز وجل فما هي النتائج الخطيرة المترتبة على هذا الحرمان؟ فالمؤمن يمشي بنور الله، وينطق بتوفيق الله، وعقيدته صحيحة، وسلوكه منضبط، وحياته النفسية مفعمة بالسعادة، لأنه على نور من ربه، وشعوره أن الله راض عنه شعور نبيل، وشعور عظيم، لكن أهل الدنيا المنقطعين عن الله عز وجل ما حياتهم من دون هذا النور؟ فربنا سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ مثل نوره في الذين آمنوا ﴿كَمِشْكَاهٍ فِيهَا
مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةِ الرُّجَاجَةِ كَانَهَا كَوْكَبٌ دُرْرِيٌّ يُوَقَّدُ مِنْ



الكافر محروم من نور الله

شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ رَبِّيُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ والذين كفروا هؤلاء أناس مقطوعون عن الله عز وجل، وقد حرموا من هذا النور، إذاً أعمالهم كسراب.

(وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٌ بِقِيَعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمَانُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوْفَاهُ حِسَابٌ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ)

لأنه في ظلمات بعضها فوق بعض، عمل عملاً لا جدوى منه، لو أنه اخترع قبلة ذرية، ماذا فعل؟ لم يفعل شيئاً، بل بالعكس، لقد أوقع مأسى في البشرية لا تنتهي إلى يوم القيمة، فهذه الإنجازات العلمية الضخمة التي استخدمت لإيقاع الأذى في بني البشر، الذين اخترعواها، والذين اكتشفوها، وقد حققوا سمعةً عظيمةً في عالم البشر، وهذه الأعمال العظيمة لو جاؤوا يوم القيمة ليجدوها أعمالاً عظيمـةً، فإذا هي سراب في سراب، ولذلك ولو أن الإنسان حصل أعلى الدرجات العلمية، ولو أنه كان ذكياً، ولو أنه كان متفوقاً في عمله، ولو أنه كان من نوع متميز من بني البشر، إن لم يعرف ربه فهو في ظلمات، والدليل ظلماته التي يعيش فيها سوف تتعكس أعمالاً لا جدوى منها، فقد تنفعه في الدنيا، وقد تدر عليه مربح عظيمـة، وقد تجعله متألقاً في عالم الشهرة، ولكن إذا جاء ملك الموت، وغرض للحساب، وهذه الأعمال التي افترخ بها في الدنيا، والتي كان بيته بها، والتي كان يمجده الناس بها يأتي يوم القيمة ليجد ها سراباً يحسبه الظمان ماءً.



إذا حينما أعرض الكافر عن التفكير في السموات والأرض فما عرف الله، وحينما لم يعرف الله عز وجل لم يقم لأمره قيمة، ولم يعبأ بطاعته، ولا باجتناب معااصيه، بهذا الجهل، وبهذا الانحراف وقع في ظلام، وحينما وقع في ظلام اتجه اتجاهات ليست صحيحة، فحينما جاء يوم القيمة، وكان يستند بهذه الإنجازات رآها كسراب بقيمة يحسبه الظمان ماء، فالإنسان أحياناً يتساءل أن هناك إنجازات ضخمة على مستوى الصناعة، والتجارة، والزراعة، واكتشافات، وأسلحة ذات فعالية تفوق حد الوصف، وأسلحة جوثومية، وكيمائية، وقنابل ذرية، وقنابل انشطارية، أليس هذا إنجازاً؟ نعم، ولكن هذا الإنجاز لو عرض على ميزان يوم القيمة كان كسراب بقيمة يحسبه الظمان ماء، وحتى الأعمال التي تبدو للناس عظيمـة، وحتى الأعمال التي يفعلها أهل الدنيا المنقطعون عن الله عز وجل، والتي هي بنظرهم عظيمـة، وهذه الأعمال لو عرضت على المحك الصحيح الذي يُسعد الناس، أو يشقىهم لكان أعمالهم خسارة في خسارة، ولذلك يقول الله سبحانه وتعالى:

(فَلَمْ هُنْ تُنْتَكُمْ بِالْأَحْسَرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يَحْسِبُونَ صُنْعًا (104))

[سورة الكهف]

وحينما يرى الله عز وجل الإنسان قد أعرض عنه يذكره فلا ينتبه، وينبهه فلا ينتبه، ويسوق له الشدائـد فلا يتعظ، وعندئـيد عدوه وشأنه:

(فَلَمَّا نَسُوا مَاذِكْرُوا بِهِ فَتَحْنَّا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرَحُوا بِمَا أُوتُوا أَخْذَنَاهُمْ بَعْثَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ (44))

[سورة الأنعام]

(أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ) يعني تفوق وتقديم وإنجاز وبمحبـة، وغنى، وقوة، وما شاكل ذلك **(حَتَّىٰ إِذَا فَرَحُوا بِمَا أُوتُوا أَخْذَنَاهُمْ بَعْثَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ).**

وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٌ بِقِيَعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمَانُ مَاءً

(وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٌ) الحقيقة أنـ السراب يحسبه الظمان ماء، فلم قال ربنا سبحانه وتعالى: **(يَحْسَبُهُ الظَّمَانُ مَاءً)** لأنـ الظمان يبحث عن الماء، فإذا لاح له في الأفق ما يشبه الماء سعى إليه، فإذا سعى إليه اكتشفـ الحقيقة المرة، وإنـ هذا الذي رآهـ ماءـ إنـما هو سراب. **(وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوْفَاهُ حِسَابٌ)** وهذهـ الأعمالـ فعلـتهاـ ياـ فلانـ ليـ قالـ عنـكـ كـذاـ، وـ قدـ قـيلـ، فـ خـذـوهـ إـلـىـ النـارـ، وـ هـذـهـ الـأـعـمـالـ العـظـيمـةـ فعلـتهاـ لـتـأـلـقـ فيـ عـالـمـ الـشـهـرـةـ، وـ قدـ اـشـتـهـرتـ، وـ هـذـهـ الـأـعـمـالـ فعلـتهاـ يـمدـحـكـ النـاسـ، وـ قدـ مدـحـوكـ، وـ هـذـهـ الـأـفـعـالـ فعلـتهاـ التـجـمـعـ منهاـ ثـرـوـةـ طـائـلـةـ، وـ قدـ حـصـلـ ذـاكـ. ولـذـاكـ حينـماـ يـغـفـلـ الإـنـسـانـ عنـ اللهـ عـزـ وـ جـلـ تـصـبـحـ أـعـمـالـهـ تـافـهـةـ لاـ جـدـوىـ منـهاـ فـيـ مـقـيـاسـ السـمـاءـ، أـمـاـ فـيـ مـقـيـاسـ الـأـرـضـ فـقـدـ يـثـبـتـ عـلـىـ النـاسـ، وـ قدـ يـمـدـحـونـهـ، وـ قدـ يـمـلـأـ أـعـيـنـهـ بـهـذـهـ الـعـلـمـ الـعـظـيمـ، لـكـ فـيـ مـقـيـاسـ الدـارـ الـآـخـرـ لـاـ قـيـمـةـ لـلـعـلـمـ إـلـاـ إـذـاـ كـانـ نـافـعـاـلـلـنـاسـ.

حـتـىـ إـذـاـ جـاءـهـ

(وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٌ بِقِيَعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمَانُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ سـعـيـهـ سـعـيـهـ لـهـفـتـهـ، فـالـإـنـسـانـ يـفـقـرـ إـلـىـ الـعـلـمـ الصـالـحـ، وـ الـحـقـيقـةـ أـنـ الـغـنـىـ عـنـ الـعـلـمـ الصـالـحـ، وـ أـنـ الـفـقـرـ هـوـ فـقـرـ الـعـلـمـ الصـالـحـ، وـ أـنـ الـعـلـمـ الصـالـحـ هـوـ أـنـمـنـ شـيـءـ فـيـ الـحـيـاةـ الدـنـيـاـ، وـ ربـناـ سـبـحانـهـ وـتعـالـىـ قـرـنـ الـعـلـمـ الصـالـحـ مـعـ الإـيمـانـ فـيـ أـكـثـرـ مـنـ مـئـتـيـ آـيـةـ، فـقـالـ سـبـحانـهـ:

(وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (82))

[سورة البقرة]

وقـالـ:

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَزَّةَ فَلَيَلْهُ الْعَزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْنَعُ الْكَلْمُ الطَّيْبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ مُّمْكُرٌ أَوْلَئِكُ هُوَ بَيْوْرٌ (10)﴾

[سورة فاطر]

وقال:

﴿وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِّمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ (132)﴾

[سورة الأنعام]

إذاً أنت في هذه الدنيا جيء بك كي تعمل عملاً صالحاً يصلح أن تسعد به إلى الأبد، فإذا جئت الدار الآخرة، وعرفت قيمة العمل الصالح، وبحثت عنه، فإذا كان صالحاً أسعده، وإن لم يكن كذلك كان العمل هباء منثوراً.

﴿وَقَيْمَنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَا هَبَاءً مَّنْثُورًا (23)﴾

[سورة الفرقان]

لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَّاهٌ حِسَابٌ

﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَّاهٌ حِسَابٌ﴾ وكل عمل يدعى الإنسان أنه فعله ليرقى به عند الله، فليعلم أن الله سبحانه وتعالي عليم بذات الصدور.

﴿إِنَّ رَبَّهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَائِكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُفُّرُونَ بِشَرِّكُمْ وَلَا يَنْبَغِي لَكُمْ مِّثْلُ حَبِّيرٍ (14)﴾

[سورة فاطر]

خيبر بما نعمل، سميع بصير.

﴿وَكُمْ أَهْلُكُنَا مِنَ الْفُرُونِ مِنْ بَعْدِنُوحٍ وَكَفَىٰ بِرِبِّكَ بِثُنُوبِ عِبَادِهِ حَبِّيرًا بَصِيرًا (17)﴾

[سورة الإسراء]

والله سبحانه وتعالي وحده يعرف حجم عملك، يعرف الإخلاص في العمل، والصدق في العمل، ومقدار التضحية، وما بذلت، وحجم ما بذلت، ولذلك فربنا سبحانه وتعالي هو الذي يحاسب الإنسان يوم القيمة.

﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾ وهذا العمل العظيم الذي اخترع القبلة الذرية، وامتلأت شهرته في الخافقين، ومع ذلك لم يجده شيئاً.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٌ بِقِيَعٍ يَحْسِبُهُ الظَّمَآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَّاهٌ حِسَابٌ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾

وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ

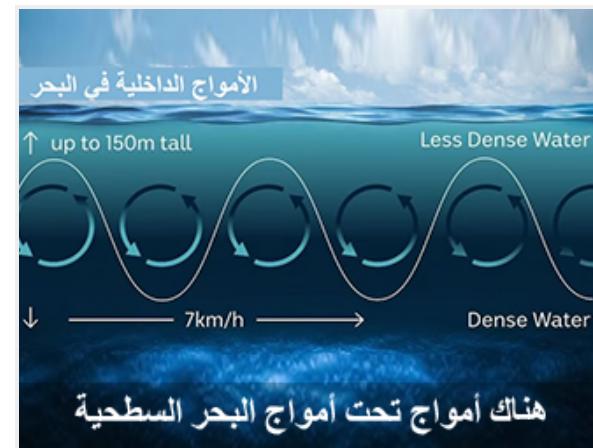
فالله سبحانه وتعالي وصف نفسه بأنه سريع الحساب، لأن الحساب يحتاج إلى وقت، ولا يندفع هذه الآية إلا من عمل في الحساب، فإنه يحتاج إلى وقت، وإلى جهد، وإلى ليلٍ يسهرها، وإلى صفحات يملؤها، لكن الله سبحانه وتعالي في لمح البصر يعطي كل ذي حق حقه.

والآية الثانية: ﴿أَفَ كَظِلَّمَاتٍ فِي بَحْرٍ لَّجِيٍّ يَعْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظَلَّمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكُنْ يَرَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهَ لَهُ نُورًا فَمَالَهُ مِنْ نُورٍ﴾

من الإعجاز العلمي في القرآن: إذا أخرج يدها لم يكُنْ يَرَاهَا

يقول العلماء: "إنه حتى عام 1900 لم يكن أحد يعرف أن في البحر أمواجاً داخلية"، المعروف أن في البحر أمواجاً سطحية، على سطح البحر هناك أمواج، ولكن كما يقول العلماء: البحارة الإسكندرانيون عرفوا لأول مرة، وهم يغوصون في أعماق البحر أن في البحر أمواجاً داخلية، ولما عرضت هذه الآية على بعض علماء البحار ذُهشوا، وصُعقوا، كيف أن هذا الكتاب الذي جاء قبل 1400 عام يشير إلى الأمواج الداخلية في البحر، والحقيقة كيف أن الأمواج السطحية تدفع السايف إلى جهة أو لأخرى، والأمواج العميقية تدفع الغواص إلى جهة، أو إلى أخرى، والله سبحانه وتعالي بين في هذه الآية أن في البحر أمواجاً سطحية، وأمواجاً داخلية.

قال تعالى: **(أَوْ كَظُلْمَاتٍ)** هذه الظلمات التي يعيشها الكافر، تفكيره في ظلمات، وقيمه في ظلمات، وكلامه في ظلمات، وأعماله في ظلمات، يتخطى خط عشواء، يؤذى، ولا ينفع، يفرق، ولا يجمع، يباعد، ولا يقرب، وهو لا يدرى.



أَوْ كَظُلْمَاتٍ فِي بَحْرٍ لَّجِيٍّ يَعْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ

(أَوْ كَظُلْمَاتٍ فِي بَحْرٍ لَّجِيٍّ) البحر الالجي البحر العميق، أو هو البحر المفعم بالموج.



البحر الالجي هو البحر المفعم بالموج

(أَوْ كَظُلْمَاتٍ فِي بَحْرٍ لَّجِيٍّ يَعْشَاهُ مَوْجٌ) هذا الموج يغشى البحر، لكن هذا الموج هو الموج الداخلي، والأمواج من شأنها أن تعكس الأشعة، فلو أن البحر هادئ لرأيت في بعض الحالات قاع البحر



يمكن رؤية قعر البحر عندما يكون البحر هادئاً

أما إذا كان البحر متوجاً، فإن هذه الأمواج من شأنها أن تعكس الأشعة نحو الأعلى. لذلك: **(أَوْ كَظُلْمَاتٍ فِي بَحْرٍ لَّجِيٍّ يَعْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ)** هذا هو الموج الداخلي.

مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ

وَمِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ وهذا الإنسان إذا كان في قاع البحر فالأنomalies الداخلية تعكس النور، والسحب يحجب النور، فماذا بقي له من النور؟ إن ظلمة قلب، وإن ظلمة عقله، وإن ظلمة أفعاله، وإن ظلمة أقواله تشبه قاع البحر، وكلمة البحر الالجي أي البحر العميق، ومعلوماتي أن في المحيط الهدادي وادياً اسمه وادي مريانا، وهذا الوادي عمقه أكثر من اثنين عشر ألف متراً،



وادي مريانا في المحيط الهدادي أعمق بحر

والشيء الذي يلفت النظر أن الأسماك في قياع البحر ليس لها عيون إطلاقاً، والخالق العظيم خلقها لتعيش في قاع المحيطات، حيث الظلام دامس، فلماذا العين؟ وما فائدتها؟ ولذلك الأسماك التي تعيش في قاع المحيطات لا عيون لها، تعرف إلى المحيط الخارجي عن طريق السمع، لا عن طريق البصر،



والشيء الذي يلفت النظر أيضاً أن الإنسان كلما هبط في المحيط مسافة أكبر ازداد ضغط الماء عليه، فضغط الماء قد يحطم أكبر الغواصات، ولو أن غواصة اختل جهاز ارتفاعها -إذ في كل غواصة جهاز يعرف قبطانها ارتفاعها عن سطح البحر، أو بعدها عن سطح البحر- فلو اختل هذا الجهاز و هبطت أكثر من 200 متر فإن ضغط الماء يحطمها،



وقد يسأل سائل: كيف تعيش هذه الأسماك على أعماقٍ كبيرة جداً في البحر، إذا كان ضغط الماء كافياً لتحطيم غواصة أنشئت من الفولاذ، وكيف تعيش هذه الأسماك؟ قال بعض العلماء: إن هذه الأسماك لها أجوف داخلية ممتلئة بمياه البحر، وأن هذه الأجوف الداخلية الممتلئة بمياه البحر ينشأ فيها ضغط داخلي يكافى الضغط الخارجي، فبهذا تعيش هذه الأسماك في قاع المحيطات،



فهل هناك من تشبيه أروع لهذا الكافر البعيد عن الله الذي لا يصلي، والذي ما عرف الله عز وجل، والذي يعيش للذلة، يعيش لاقتناص اللذة، ولا قيمة لقيمته عندك، فهذا الكافر في ظلمات بعضها فوق بعض. **(أَوْ كُلُّمَاتٍ فِي بَحْرٍ لَجِيَ يَعْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ كُلُّمَاتٍ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ)** ولذلك عندما حدثنا ربنا عز وجل عن سيدنا يونس قال:

(وَدَا النُّونِ إِذْهَبَ مُغَاضِبًا فَطَنَّ أَنْ لَنْ نَقْرِئَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ (87))

ما هي الظلمات الثلاث؟ قالوا: هي ظلمة الليل، وظلمة البحر، وظلمة بطن الحوت، وهذا الكافر في ظلمات ثلاث؛ فهو في قاع المحيط، فوق موج يعكس الأشعة، وفوق الموج موج، وفوق الموج سحاب. **﴿ظُلْمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكُنْ يَرَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهَ لَهُ نُورًا فَمَالَهُ مِنْ نُورٍ﴾**

ظُلْمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكُنْ يَرَاهَا

يقول ربنا سبحانه وتعالى في بعض الآيات الأخرى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوْتَهَا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُذْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمًا لَا يُخْرِي اللَّهُ النَّبِيٌّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ طُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتَمْ لَنَا نُورٌ نَّا وَأَعْفُرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (8)

[سورة التحرير]

العمل الطيب نور

من خلال هذه الآيات في هذه السورة يتضح أن العمل الطيب نور، وأن العمل السيئ ظلام، وهاتان الآيتان:
الآية الأولى: **﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ﴾** الآية الثانية: **﴿أَوْ كَظُلْمَاتٍ﴾** بعض المفسرين يرون أن الآية الأولى تتعلق بأعمالهم الطيبة، لكنهم إذا جاؤوا يوم القيمة رأوا هناسراباً في سراب، وأن الآية الثانية تتعلق بأعمالهم السيئة، فأعمالهم الطيبة ما أرادوا بها وجه الله، بل أرادوا الدنيا، والشهرة، والسمعة، والمال الوفير، والثروات، وهذه الأعمال على أنها أعمال مدهشة لا قيمة لها يوم القيمة، لأن أعمالهم السيئة؛ عدوانهم على الناس، وأخذهم ماليس لهم، واستعبادهم للناس.

﴿أَوْ كَظُلْمَاتٍ فِي بَحْرٍ لَّجِيٍّ﴾ كيف أن المؤمن نوره يسعى بين يديه يوم القيمة، يسعد بهذا النور إلى الأبد، والكافر بما عمل من أعمال سيئة خسيسة، وبما اعتقد على أعراض الناس، وعلى أموالهم يرى عمله **﴿ظُلْمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكُنْ يَرَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهَ لَهُ نُورًا فَمَالَهُ مِنْ نُورٍ﴾** فالنور واحد من عند الله عز وجل، فإما أن يكون لك قبس من هذا النور، فتكون مهتمياً، أو لا يكون لك من هذا النور قبس، فهذا هو الضلال بعينه، فالهوى لا يتعدد، وربنا عز وجل قال:

﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَنْتَبِغُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَنَاعُوكُمْ بِهِ لَعْلَكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (153)

[سورة الأنعام]



الحق واحد، والهوى واحد، وأما الباطل متعدد، ومتنوع، والضلالات أنواع، والانحرافات أنواع، أنواع ونسب، لها أنواع كثيرة، وكل نوع له نسب، فالخطأ المستقيم خط مستقيم، لكن الخط المنحرف عن هذا الخط فيه انحراف بدرجة، وانحراف بدرجتين، وبخمس درجات، والانحراف منوع، عندنا خط منكسر، وخط منحن، وخط متعرج، وخط ملتو، الانحراف منوع، ونسبي، ولكن الاستقامة واحدة، وذات مصدر واحد.

﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهَ لَهُ نُورًا فَمَالَهُ مِنْ نُورٍ﴾ الآن نضطر إلى أن نشير إلى أن الذكاء وحده لا يكفي، فالذكاء وحده قد ينفع في الدنيا، ولكن ذكاء الإنسان إذا قاده إلى أن يكفر بالله عز وجل، أو إلى أن يستعلي على الناس، أو أن يأخذ ما ليس له، فهذا ليس بذكاء، لأنه سوف يلقى الواحد الديان، ويدفع الثمن باهظاً، فإذاً يمكن أن تدمغ كل إنسان بعيد،

مشرك، كافر، بأنه غبي، لأن ذكاءه أفاده في دنياه فقط، ولكن في آخرته لم يفده ذكاؤه **﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهَ لَهُ نُورًا فَمَالَهُ مِنْ نُورٍ﴾**.

ثم يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسْتَجِعُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْطَّيْرِ صَافَاتٍ كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيهِ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ (41)

[سورة النور]

معنى: **أَلَمْ تَرَ**

كلمة: **أَلَمْ تَرَ** ومثيلات هذه الآية تشير إلى أن هذه الآيات تحت سمع الإنسان وبصره، وهذه الآيات بين يديه، وبإمكانه أن يراها، وإذا لم ير هذه الآيات فقد خسر خسارة كبيرة:

﴿وَكَيْنُ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمْرُونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ (105)﴾

[سورة يوسف]

وربنا عز وجل يأمرنا أن ننظر:

﴿فَلَيَنْظُرْ إِلَيْهِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ (24)﴾

[سورة عبس]

وقال سبحانه:

﴿فَلَيَنْظُرْ إِلَيْهِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خَلَقَ (5)﴾

[سورة الطارق]

وقال:

﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (17) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (18)﴾

[سورة الغاشية]

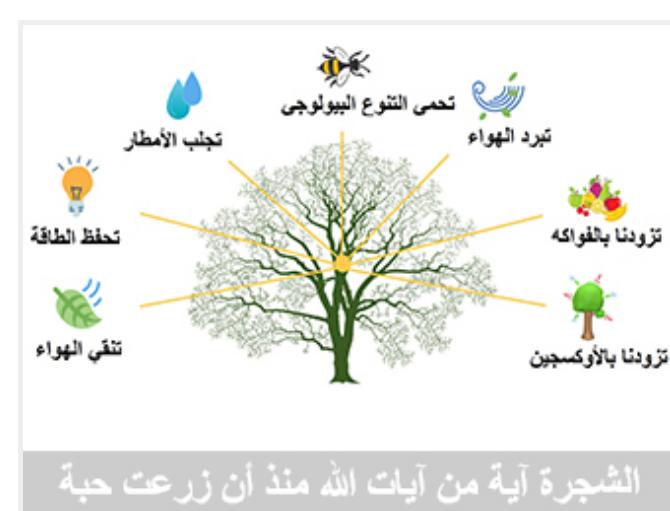
كلمة: **﴿أَلَمْ تَرَ﴾** تشير إلى أنك لم تر حتى الآن؟
انظر تر: **﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَيِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾**

من معاني التسبيح:

المعنى الأول: التسبيح لإتقان خلق الله:

ومن معاني التسبيح أنك إذا رأيت، أو إذا نظرت إلى أي شيء من مخلوقات الله تجده متقدماً بـتقانة لا حدود لها، صغير المخلوقات وكثيرها، وجليل المخلوقات وحقيرها، وأي مخلوق؛ نافعها، وضارها، لو نظرت إلى تشريح جسدك، وإلى بنية أجهزتك، وإلى تركيب حواسك لرأيت العجب العجاب؛ فهذا الطير كأنه يسبح الله سبحانه وتعالى، وهذه السمكة لجمال خطوطها، ولدقّة أجهزتها، ولعظمة بنائها إذا تأملت فيها دفعك هذا التأمل إلى تسبيع الله سبحانه وتعالى، وهذا هو المعنى الأول.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَيِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ انظر إلى الشجرة كيف نمت من حبة، وكيف صارت شجرة، فمن جعلها في هذا الشكل الجميل؟ ومن جعلها تنمو بلا صوت، من جعلها تثمر، من جعلها تزهر، من جعلها تورق؟ وكيف أنك تستفيد من ورقها، ومن ثمرها، ومن زهرها، ومن خشبها؟ وكيف أنها تزين بستانك؟ انظر إلى الشجرة، وانظر إلى العين، انظر إلى القلب، انظر إلى كل شيء، وهذا الشيء إذا تأملت فيه، ورأيت دقّة بنائه، وروعة صنعته، وإتقان خلقه تقول: سبحان الله! وهذا هو المعنى الأول من قوله تعالى: **﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَيِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾**.

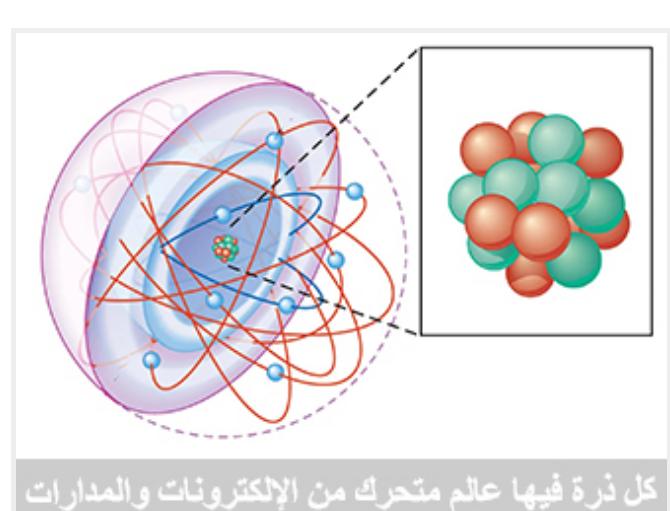


الشجرة آية من آيات الله منذ أن زرعت حبة

المعنى الثاني: كل شيء يسبح بحمد الله:

والمعنى الثاني: أن كل شيء خلقه الله سبحانه وتعالى يسبح بحمده، والذي يؤكد المعنى الثاني قول الله عز وجل في آية أخرى:

﴿يُسَيِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتِ السَّبَعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مَنْ شَيْءَ إِلَّا يُسَيِّحُ بِخَمْدِهِ وَلَكِنَ لَا تَفْقُهُونَ تَسْبِيَحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ خَلِيمًا غَفُورًا (44)﴾



كل ذرة فيها عالم متحرك من الإلكترونات والمدارات

[سورة الإسراء]

إذا الطير تسبح، والزهرة تسبح، والحجر يسبح، والنبي عليه الصلاة والسلام يقول:

﴿إِنَّمَا أَعْرَفُ حَجَراً بِمَكَّةَ، كَانَ يُسَلِّمُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُبَعِّثَ﴾

[صحيف الجامع]

والعلم الحديث يقول: كل ذرة فيها حركة، وفيها كهارب،

وإلكترونات، ومدارات، فهذا الشيء الذي تراه جامداً يتحرك، ويدور بسرعات مذهلة، ونظم النزرة يشبه نظام المجرة، إذاً الجمادات، والنباتات، والحيوانات كلها تسبح الله سبحانه وتعالى، وهذا الإنسان الذي سُخرت له جميع المخلوقات، والذي سخر الله له من في السماوات والأرض كيف يغفل عن الله عز وجل؟ وكيف تسبح الطير في الأجواء، والأسماك في البحار، والرياحين والأزهار، والأحجار، وهو في غفلة عن الله عز وجل!

وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ﴾ وقد قرأت مرة كلمة في كتاب عن الطيران، في مقدمة الكتاب يقول المؤلف: إن أعظم طائرة صنعت حتى الآن لا ترقى إلى مستوى الطائر،



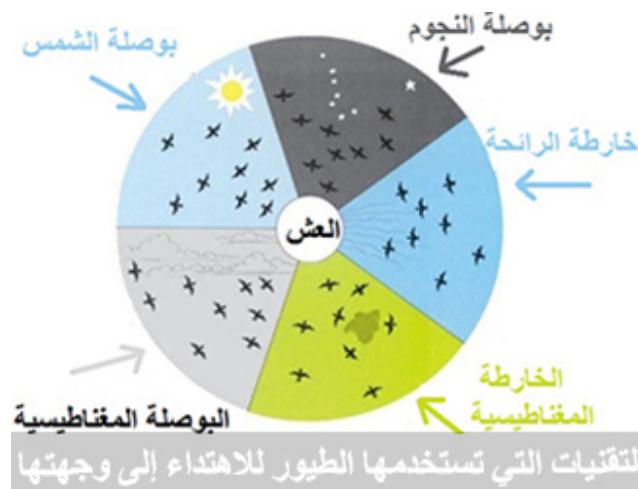
وأساس الطائرة خفة في الوزن، وأداء مرتفع جداً في الطاقة، لأن السيارة حينما تتحرك تمثي على عجلات، فالوقود من شأنه أن يدفعها نحو الأمام، لكن الوقود في الطائرة من شأنه أن يرفعها كلها،



فأن تدفع سيارة نحو الأمام تحتاج إلى جهد ولا شك، لكن أن تحمل سيارة، فهذا يحتاج إلى جهد كبير، فالطائر حين يطير ستة أو ثمانين ساعة بلا توقف، إذ هناك طائر اسمه "بلاك بول" يطير ستة أو ثمانين ساعة بلا توقف، وهناك طيور تهاجر من شمال الأرض إلى جنوبها،



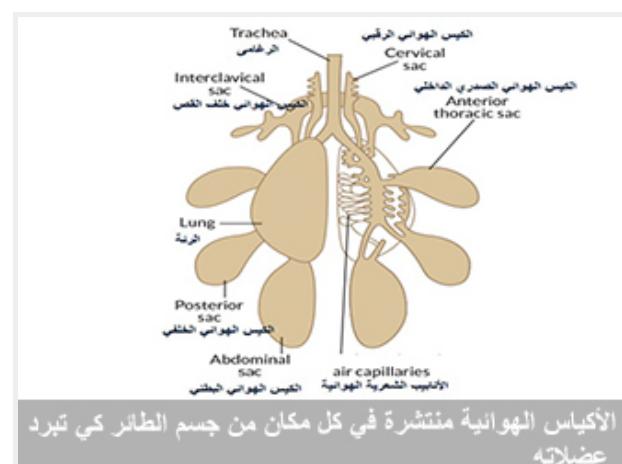
وتقطع مسافة تزيد عن سبعة عشر ألف كيلومتراً، وهناك طيور تهاجر مثلاً من الشام إلى إفريقيا، وحينما تعود كيف تهتمي إلى أوكرانيا، وإلى أعشاشها؟



إذا انطلقت إلى إفريقيا، لو انحرفت درجة واحدة لجاءت في مصر، ولو أنها انحرفت درجتين لجاءت في ليبيا، فكيف تأتي إلى الشام؟ وإلى الحي الفلاني، والبيت الفلاني؟ الطيور التي تعشعش في البيوت في دمشق مثلاً، وتهاجر في الشتاء، تعود إلى أعشاشها في الصيف المقبل، كيف تهتدي إلى الطريق؟ هذا من عظمة الله تعالى، وهذا الريش كيف أنه بدرجة من الخفة تفوق حد الخيال! فالطائر خفيف جداً، وريشه مت Manson، وهذا الريش يتبدل، ففي عالم الطيران والطيور حقائق مذهلة، لا مجال لذكرها كلها الآن، لكن الله عز وجل يقول:

كُلُّ قُدْ عِلْمٍ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ

(وَالطَّيْرُ صَافَاتٍ كُلُّ قُدْ عِلْمٍ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ) هذا الطائر حينما يعمل باستمرار إلى ماذا يحتاج؟ يحتاج إلى تبريد، ولذلك حينما يتفس الهواء، الهواء يصل إلى أظلاف أرجله، نحن إذا تنفسنا الهواء يبقى في الرئتين، ولكن الطائر حينما يتفس الهواء، فهناك شعب هوائية متغلغلة في كل جسمه حتى نهاية أرجله من أجل التبريد،



فنية الطائر بنية عجيبة جداً، وربنا عز وجل هكذا يقول: **(وَالطَّيْرُ صَافَاتٍ كُلُّ قُدْ عِلْمٍ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ)** قال بعض العلماء: "الصلوة للإنسان، والتسبيح لغير الإنسان" **(وَاللهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعُلُونَ)**.

(وَلِللهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ (42))

[سورة النور]

الله ما في السماوات والأرض ملكاً وتصروا ومصيرأ:

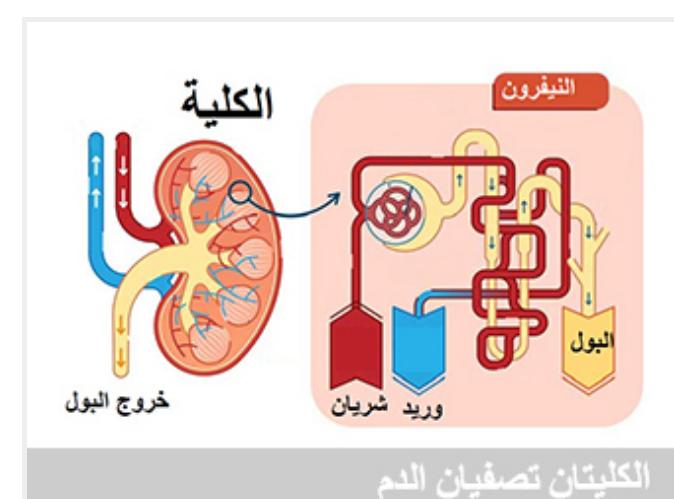
فمالك الملك هو الله سبحانه وتعالى، وكل شيء يظن الإنسان أنه يملكه هو واهم، الملك لله الواحد القهار.

(بِيَوْمٍ هُمْ بَارُؤُنَ سَلَّا يَحْقُّى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لَمْنَ الْمُلْكُ الْيَوْمِ مُلِلَهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (16))

[سورة غافر]

في الدنيا، وفي الآخرة، فهذا السمع ملك الله عز وجل، والبصر، والكليتان ملك الله عز وجل، ففجأة تتوقف الكليتان عن العمل بلا سبب، وحتى الآن لا أحد يعلم ما السبب؟ إنه توقف مفاجئ في وظيفة الكليتين، فهاتان الكليتان اللتان تصفيان لك الدم، وأنت مرتاح، وتعمل في متجرك، أو معملك، أو مكتبك، أو مدرستك، أو حقالك، أو بيتك من دون أن تشعر، ولا يعرف قيمة الكليتين إلا من ابتدى ببغسل الكليتين في المستشفيات؛ يذهب إلى المستشفى، وينتظر الساعات الطويلة ليأتي الطبيب، ويوضع هذه الإبر في شرايينه، ويبقى ساعتين أو أكثر، ويدفع مبالغ طائلة، ويتحمل عبئاً، ووقتاً، وجهاً، والكلية الصناعية جῆماً كبيراً، ولها صوت، ووظيفتها غير كافية، ويبقى هناك عشرون بالمائة من المواد السامة في الدم لا تستطيع الكلية الصناعية أن تصفي هذه الكمية.

فالكليتان ملك الله عز وجل، والعين ملك الله عز وجل، وكل شيء



نظم أنك تملكه فهو ملك الله عز وجل. **(وَلِلّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلٰي اللّهِ الْمَصِيرُ).**

(أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللّهَ يُرِّجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خَلَالِهِ وَيُنَزَّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصَبِّبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَابِرُهُ يَدْهُبُ بِالْأَبْصَارِ (43) يُقْبِلُ اللّهُ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعْبَرًا لِأُولَئِكَ الْأَبْصَارِ (44))

[سورة التور]

العلاقة بين الهواء والماء:

وقد تحدثنا من قبل عن الهواء والماء، ولكن هناك علاقة بينهما، وفي هذه العلاقة مصير الإنسان، فالهواء من شأنه أن يتحمل بخار الماء، وتحمّل الهواء بخار الماء بنسب متفاوتة، فهذه النسبة تتعلق بحرارة الهواء، فمثلاً لو أن متراً مكعباً من الهواء كانت حرارته 30 لتر متر مكعب من الماء، فإذا برد الهواء تخلى عن بخار الماء الذي يحمله، وهذا مبدأ الأمطار، أشعة الشمس مسلطة على مساحات شاسعة من الماء، وربما عز وجل حينما جعل البحار نسبتها 71% من سطح الأرض، و29% يابسة، وهذه النسبة ليست عثة، فلو لا أن مساحة البحار تعادل أربعة أخماس اليابسة لما أمكنت الحياة على اليابسة، وهذه المساحات الهائلة من البحار تأتيها الشمس، فتأخذ شيئاً منها على شكل بخار ماء، وقد تسهم الرياح الساريات بنقل جزء من ماء البحر إلى الهواء.



وعلى كلٍّ: فالهواء يتحمل بخار الماء، والهواء هناك ساخن طبعاً، أشعة الشمس تسخن مياه البحر، فتبخر، ويحملها الهواء، والهواء إذا سخن ارتفع نحو الأعلى، وكلما ارتفعنا 150 متراً تقل الحرارة درجة واحدة، فكلما ارتفع الهواء المحمل ببخار الماء نحو الأعلى برد، وإذا برد انعقدت السحب، فما السحب؟ إنها هواء مشبع ببخار الماء، برد الهواء، فتخلى عن جزء من بخار الماء، وهذا الجزء انعقد سحاباً، وبقي عالقاً في الهواء، فإذا برد أكثر فأكثر بلغ حد الندى، أي فرط إشباع، فيصبح السحاب قطرات من الماء، وهذا تبسيط جداً للأمطار، ولكن هناك نظريات أعقد، وأعقد من ذلك، وعلى كلٍّ فهذا الهواء يحمل بخار الماء، وكلما زادت درجة الحرارة ازدادت قدرته على تحمل بخار الماء، وكلما قلت هذه الدرجة تخلّي عن الماء الزائد.

معنى: **أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللّهَ يُرِّجِي سَحَابًا**

يقول ربنا عز وجل يقول: **(أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللّهَ يُرِّجِي سَحَابًا)** فمعنى يرجي أي يسوق، السحاب يتشكل فوق البحار، فمن يسوقه إلى اليابسة؟ إنه الله سبحانه وتعالى، وكيف يسوقه؟ عن طريق الرياح، فالله سبحانه وتعالى يبعث رياحه لتسوق هذه السحب إلى الأرض العطشى.

ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ

(ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ) فبخار الماء العالق في الهواء لا تراه أنت، لكن لأوضاع متعددة، تتالف هذه الذرات فيما بينها، وتشكل السحب، وهذه السحب تحمل أطناناً من الماء،



فالسحابة الواحدة التي طولها سبعة كيلو مترات، وارتفاعها أربعين أو خمسة كيلو مترات، هناك من يقدر أنها تحمل أربعين طنًا من الماء، ماء يسير في الهواء، يسوقه الله حيث يشاء، فالله عز وجل يقول: **(أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللّهَ يُرِّجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ)** بخار الماء له حالات، هناك حالة لا يرى بها، وهو عالق في الهواء، وحاله يكون سحاباً، وحاله يصبح ماء، وهذا مبدأ الأمطار،



فإذا قلنا: هبط في دمشق 30 ملم، أي 3 سم، فلو أن هذه الكمية عممت على القطر بحساب بسيط، هناك خمسة مليارات طناً من الماء نزلت إلى القطر ، وإذا سمعنا بالأخبار أنه بالمكان الفلاحي نزل 30 ملم، فهذه مياه كثيرة جداً.

السحب الركامية: ثم يجعله رِكاماً

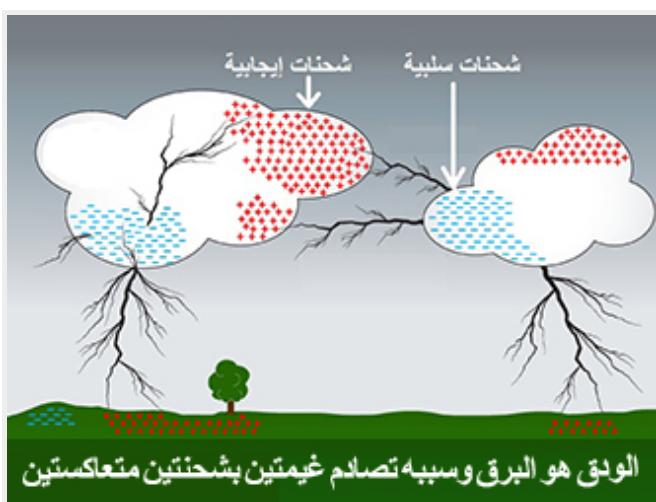
(ثم يجعله رِكاماً) إن علماء الجغرافيا يعرّفون السحب الركامية بأنها السحب الممطرة، ومياه الأمطار لا تتعقد إلا من السحب الركامية، قال ربنا عز وجل: **(وَيُنَزَّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ)** فهذا الوصف غريب، لكن الذين ركبوا الطائرات اليوم يرون السحب،



وأنها جبال، والطائرات الآن تطير على ارتفاع 40000 قدم، وهذه المسافة فوق السحاب، فلو أطل الراكب، ونظر إلى السحاب من نافذة الطائرة يرى السحاب وكأنه جبال بشكل دقيق، وهذه الصورة عرفها الإنسان بعد أن ركب الطائرة.

فترى الودق يخرج من خلاله

(أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُنْجِي سَحَاباً ثُمَّ يُؤَنِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رِكاماً فَتَرَى الْوَدْقَ) الودق هو البرق، فهذه السحب بعضها مشحون بالكهرباء الموجبة، وبعضها مشحون بالكهرباء السالبة،



هناك سحابة واحدة بعضها مشحون سالباً، وبعضها مشحون موجباً، وهناك سحب متعددة، بعضها مشحون شحنة سلبية، وبعضها مشحون شحنة إيجابية، إذا تلاقت هذه السحب يحدث ما يسمى بالانفراج، هذا البرق هو من نتائج تلاقي السحب ذات الشحنات المتفاوتة، والبرق يقولون إن حرارته 40 ألف درجة..

وَيُنَزَّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ

(وَيُنَزَّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ) البرق: أولاً: حينما تلقى السحابتان ذات الشحنات المتباعدة السلبية والإيجابية يحدث شرارة كهربائية، هذه الشرارة هي البرق، حرارتها 40 ألف درجة، هذه إذا أصابت شيئاً أحرقته، وتسمى الصاعقة.



فما هو الرعد؟ حينما تُسَرِّر هذه الشرارة الهواء يتمدّد، وتحدث وراءها فراغ، وحينما يعود الهواء ليملأ هذا الفراغ، فصوت ارتطام الهواء بعضه ببعض هو ما يسمى بالرعد، وأصوات الرعد كما تعلمون أصوات مخيفة.
(فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خَلَالِهِ وَيُنَزَّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ) يعني جبال، حينما تتعقد حبة المطر، وإذا انعقدت في جو بارد تصبح حبة من البرد، وحبة البرد قد تصل إلى حجم البرتقالية،



ولولا لطف الله عز وجل في تمريرها من خلال طبقات الهواء الساخن فتنذوب لكان البرد مصيبة من أكبر المصائب، ولكن الله عز وجل يلطف هذه الحبة من البرد حتى تغدو في حجم حبة الحمص، أو دون ذلك.



على قوله تعالى: **(وَيُنَزَّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ)** فربنا عز وجل عبر عن عظم حجم الماء الذي ينزل من السماء بكلمة: **(مِنْ جِبَالٍ)** وعبر عن عظم الكمية بكلمة جبال، وعبر عن شكل السحب الركامية، وهي بعضها فوق بعض، والذي يراها راكب الطائرة، وكأنها جبال، فتشبيه السحب بالجبال من زاويتين، من زاوية حجم الماء الذي تحمله، ومن زاوية الشكل الذي تبدو للناظر فيه.



شيء آخر، نهر من أنهار العالم هو نهر الأمازون، غزارته تساوي 300 ألف مترًا مكعباً في الثانية، وهذا النهر ليس له نبع إنما هو مياه الأمطار، تتجمع في بعض الوديان، فهذا نهر واحد من آثار مياه الأمطار كثافته في الثانية 300 ألف مترًا مكعباً، مع أن هذا النهر لا ينبع من الأرض، إنما تجتمع مياهه من السطوح التي تتحدر منها الوديان، إذاً فتشبيه ربنا عز وجل حجم الماء بقوله: **(من جبال)** هذا تشبيه بليغ، حيث إن حجم الماء يشبه حجم الجبال، وإن شكل هذه السحب الركامية يشبه الجبال إلى حد بعيد.

فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ

(وَيَنْزَلُ مِنْ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ) فلو اطلعت على النشرة الجوية تقرأ دمشق 30 ملم، ودرعا 17، وحمص 50، وطرطوس 70، وهنا 3 ملم، وهناك 2 ملم، فتجد تفاوتاً، فربنا عز وجل يصيب به من يشاء، ويصرفه عن من يشاء، وربنا عز وجل جعل هذا الماء، وسماه غيثاً، لأنه يغيث الأرض.

(يَكَادُ سَنَابِرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ) فهذا البرق من شدة اللمعان ربما يأخذ البصر، وهذه إشارة إلى أن الضوء المבהיר من شأنه أن يؤذى الشبكية **(يَكَادُ سَنَابِرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ)** ومن النصائح الطبية لا يديم الإنسان النظر إلى منبع ضوئي متالق، لأن هذا يسبب له تخرسأفي الشبكية. **(يَكَادُ سَنَابِرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ *** يَقَالُ اللَّهُ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعْبَرَةً لِأُولَئِكَ الْأَبْصَارِ) وفي ختام هذا الدرس الذي أتمناه، أن أكون قد وضحت لكم كيف أن نور الله عز وجل إذا سرى في قلب المؤمن يجعل حياته سعيدة؛ نور في عقله، ونور في قلبه، ونور في لسانه، ونور في جانبه، ونور في عمله، ونور بين يديه، ومن خلفه، ومن أمامه، ومن ورائه، وكيف أن الكافر إذا ابتعد عن الله عز وجل، وانقطع عنه تصبح حياته ظلمات بعضها فوق بعض، فأفكاره فيها ضلال، وأعماله فيها أذى، وكلامه فيه تفريق، وفيه جرح، فهو في ظلام، لأنه يخطب خطط عشواء، فربنا عز وجل وصف المؤمنين، وكيف أن الله ينفث النور في قلوبهم، ووصف الكفار، وكيف أن أعمالهم الصالحة كسراب، وأعمالهم السيئة كظلمات بعضها فوق بعض، وكيف أن هذا الكافر ينتهي به الأمر إلى الشقاء الأبدى، ثم لفت نظرنا إلى بعض الآيات الكونية التي يمكن أن نرقى بها إلى الله عز وجل؛ فوصف ربنا سبحانه وتعالى ظاهرة المطر بشكل دقيق. وأرجو الله سبحانه وتعالى أن يمكنني أن أضيف على تفسير هذه الآيات أشياء في الدرس القادم.